المجلة التاريخية الجزائرية
ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664
المجلد:09، العدد:01 (2025)، ص302-320

علاقة الجزائر بالعالم الإسلامي في منظور السياسة الاستعمارية الفرنسية

Algeria's relationship with the Islamic world in French colonial policy

نبيل شريخي
المدرسة العليا للأساتذة آسيا جبّار قسنطينة (الجزائر)
Charikhi.nabil@ensc.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2025/03/29
تاريخ القبول:
2025/05/21

الكلمات المفتاحية:
- ✓ الجزائر
- ✓ فرنسا
- ✓ العالم الإسلامي
- ✓ الاحتلال

الملخص:

يحاول هذا المقال، التطرّق إلى علاقة الجزائر بالعالم الإسلامي أثناء فترة الاحتلال الفرنسي، حيث نتتبع فيه موقف المحتل الفرنسي وسياسته من تلك الروابط الحضارية التي كانت تربط الجزائر بمحيطها في المشرق والمغرب الإسلاميين، والتي مكنتنا من الوقوف عن طبيعة السياسة الاستعمارية تجاهها؛ فقد تميّزت بازدواجية من طرفه، وذلك بتوظيفه من جهة لتلك العلاقة خدمة لسياسته الاستعمارية وأهدافها خاصّة خلال القرن التاسع عشر، والتضييق من جهة أخرى على الجزائريين الذين كانت لهم علاقات بعالمهم الإسلامي، إمّا لممارسة شعائرهم الدينية خاصّة بالحجاز، أو لرحلات إليها، قصد الاستزادة من مؤسّساتها العلمية الموجودة بها على غرار جامع الزيتونة بتونس، والأزهر بمصر.

Article info

Received:
29/03/2025
Accepted:
21/05/2025

Key words:
- ✓ Algeria
- ✓ French
- ✓ Islamic world
- ✓ occupation

Abstract:

This article attempts to address Algeria's relationship with the Islamic world during the French occupation, tracing the French occupier's stance and policy towards the cultural ties that linked Algeria to its surroundings in the Islamic East and West. This allowed us to understand the nature of colonial policy towards it, which was characterized by duality on the part of the occupier, as it exploited this relationship to serve its colonial policy and objectives, while oppressing Algerians who had connections with their Islamic world, either to practice their religious rituals, especially in the Hijaz, or to travel there to learn from its scientific institutions, such as the Zaytuna Mosque in Tunis and Al-Azhar University in Egypt.

مقدمة

اعتبر الاحتلال الفرنسي للجزائر حملة صليبية ضد العالم الإسلامي، وهو ما تؤكّده تصريحات رجال السياسة والعسكريين الفرنسيين قبل وأثناء الحملة الفرنسية وبعد سقوط مدينة الجزائر في 05 جويلية 1830، كما أنّ مختلف الأعمال التي تلتها جاءت لتأكيد تلك التصريحات، على الرغم من تعهّد الفرنسيين باحترام ممارسة الجزائريين لشعائرهم الدينية، مثلما جاء في المادة الخامسة من معاهدة الاحتلال، بأنّ: "**إقامة الشعائر المحمّدية الدينية تكون حرّة، ولا يقع أيّ مساس بحرّية السكان من مختلف الطبقات، ولا بدينهم، ولا بأملاكهم...**" (عيساوي، 2011، صفحة 19).

وكان احتلال فرنسا للجزائر من حيث دوافعه وإجراءاته ومظاهره مشروعا منافيا للوجود التاريخي للأمّة الجزائرية وخطّة مدمّرة لمصالحه الحيوية وذاتيته الحضارية؛ فقد كان أساس المشروع الاستعماري الفرنسي مسيحي العقيدة، ومرجعيته الهوية الفرنسية، يرى في الإسلام خصما يجب محاصرته، والعربية عدوا مناقضا لمخطّطاته يجب تحجيمها والقضاء عليها (الدين، في الهوية والانتماء الحضاري، 2013)، لذلك عمد إلى القيام بعدّة مخططات وإجراءات في سبيل عزل الجزائر عن فضائها العربي الإسلامي، عبر مختلف المراحل التي مرّ عليها احتلاله لها.

ونحاول من خلال هذا المقال، **التعرّف على جوانب من السياسة الاستعمارية فيما يخص علاقة الجزائر بعالمها الإسلامي، وكيف تعاملت فرنسا مع ذلك الانتماء الحضاري والرابطة القوّية التي تربطها به؟ وهل أبقتها فرنسا في تلك المكانة كفضاء تشترك فيه مع هذه الدول لغويا ودينيا وثقافيا وتاريخيا؟ أو أنّها عملت على تقييدها والحدّ منها؟** وذلك في سياق الأهداف الدينية والحضارية الذي جاء فيه الاحتلال الفرنسي للجزائر.

1. احتلال الجزائر في أبعاده الحضارية

عكس الاحتلال الفرنسي للجزائر عام 1830 ذلك التعصّب الصليبي ضدّ العالم الإسلامي، حملت رايته فرنسا التي اعتبرت نفسها حامية المسيحية والمدافعة عنها، وأنّ تنظيم حملة عسكرية والانتصار فيها على الجزائر الإسلامية، هو في الحقيقة انتصار الصليبية على الإسلام (هلال، 1995، صفحة 50)، وكان جميع رؤساء فرنسا يعتبرون دولتهم البنت البكر للمسيحية، ويسوؤهم أن تعوّض الكنائس بالمساجد في الشمال الإفريقي، بدعوى أنّ المسيحية كانت الدين الذي ساد هذه البلاد، ومن الضروري أن يعيد الزمن نفسه، وتصبح المساجد كنائس (مجاهد، 1982، صفحة 109)، وتبعث المسيحية من جديد بإفريقيا، كما يبعث كيان القديس سبريان (Saint Cyprien) (توفي 258م) والقديس أوغسطين (Saint Augustin) (توفي430م) بهذه الأرض (بقطاش، 1992، صفحة 18).

ووصف وزير الحربية كلارمون تونير (C.Tonnère) الحملة بأنها: "**حملة صليبية هيأتها العناية الإلهية، لينفّذها الملك الفرنسي الذي اختاره الله للثأر من أعداء الدين و الإنسانية**" (العسلي، 1986، صفحة 56)،

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

كما جاء في الخطبة التي ألقاها الملك شارل العاشر، أثناء توديع الحملة: "...**إنّ العمل الذي ستقوم به الحملة ترضية للشرف الفرنسي، سيكون بمساعدة العلي القدير لفائدة المسيحية كلها**" (الجيلالي، 1983، صفحة 383).

وتغنّى الجنرال ديبورمون بنشوة الانتصار، عندما دخل القصبة بقوله: "**مولاي لقد فتحت بهذا العمل بابا للمسيحية على شاطئ إفريقيا، رجاؤنا أن يكون ذلك بداية لازدهار الحضارة التي اندثرت في هذه البلاد**" (هلال، 1995، صفحة 50)، كما أقام صلاة دينية في داخل القصبة، بعد ستّة أيام فقط من توقيع معاهدة الاحتلال، وفي نفس اليوم كان الملك شارل العاشر هو الآخر يحضر بنفسه صلاة مسيحية في كنيسة نوتردام (Notre Dame) بباريس، ليشكر "**العناية الإلهية**" على هذا الانتصار الكبير (التميمي، 1974، صفحة 14).

وبمجرّد أن بلغ السفير البابوي خبر غزو الجزائر، حتى أسرع إلى إخبار روما بكثير من الرضا، أنّه: "**من الأحسن أن يتم معاقبة قاطع الطريق الذي يسمى الداي**"، ثمّ أكّد الخبر مع بعض التفاصيل بخصوص عدد القوى البحرية واحتمال القيام بهجوم أرضي على الإيالة، ولمّا استقبله الملك، طمأنه أنّه يتمنى من صميم قلبه نجاح قواته في غزو الجزائر، وعندما جرى الاستيلاء على مدينة الجزائر، قدّم القنصل البابوي في مارسيليا تهانيه، والتي استجاب لها الملك بقوله أنّ: "**النجاح تحقّق بفضل صلوات البابا**" (فاقلييري، 2013، صفحة 85).

إنّ هذه الأقوال تعكس بجلاء الحقد الصليبي الدفين، اتّجاه الإسلام والمسلمين، والذي لم تكن هذه الكلمات لتدل عليه لوحدها؛ فلقد جاءت الأحداث التي تلت الاحتلال وسقوط الجزائر، والاعتداء على حرمة المساجد وعلى الأوقاف (عيساوي، 2011، صفحة 24، 48)، لتؤكّد ذلك الحقد الذي أرادوا من خلاله محو الإسلام في جميع ربوعها، وانتزاعه من أمّة عاشت تقدّسه مدّة تزيد على ثلاثة عشر قرنا (الورتلاني، 2009، صفحة 101)، وهو حقد أبعدُ ما يكون من التعاليم السمحة التي جاء بها المسيح عليه السلام، ولم يحترم شيء على الإطلاق من الوعود الرسمية المتعلّقة بالشؤون الدينية والعقدية؛ ومن ذلك ما جاء في التحقيق الرسمي الذي أنجزه ألبير دو فول سنة 1865، أنّ 230 مسجدا صغيرا وكبيرا كان موجودا في الجزائر قبل 1830، لم يبق منها سوى 12 مسجدا للعبادات الإسلامية، وكان مصير المساجد الأخرى أنّها هدّمت، أو حوّلت إلى ثكنات، أو مستشفيات، أو إسطبلات، أو حمّامات عمومية، أو واجهات، أو دير، أو كنائس كاثوليكية،...أو ألحقت بالحياء المخصّصة لراحة المقاتلين (هابار، 2007، صفحة 48).

واعتبر الفرنسيون احتلال الجزائر بمثابة انتزاعها من عالمها الإسلامي وإعادتها – حسبهم – إلى العالم المسيحي، ولخّص لنا المؤرّخ غوتييه (L.Gautier) هدف الاستعمار الفرنسي في الجزائر؛ بقوله: "**حاولنا في الجزائر أن نجعل من أرض شرقية، أرضا غربية**"، وأكّد فرحات عبّاس أنّ: "**أوروبا حاولت في الجزائر أن تُرجع قطعة من العالم العربي أوروبية**"، والاستعمار الفرنسي لم يألُ جهدا لاستعباد الجزائريين من جهة، ولتجريد الجزائر من إسلاميتها وعروبتها من جهة أخرى، وأنّ جميع الجهود التي بذلها كانت ترمي كلّها إلى هذا الهدف (عبّاس، 2005، صفحة 20، 21).

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

2. توظيف الدين في الأغراض الاستعمارية

تساءل البشير الإبراهيمي في إحدى مقالاته بجريدة البصائر "**هل دولة فرنسا لائكية**" (الإبراهيمي، 1950)؟، وممّا ذكره فيه أنّ "...**فرنسا جاءت إلى الجزائر بالجندي ففتح بالقوة، ومهّد بالقوّة، ثمّ جاءت بعده بالمعلّم والطبيب والراهب، بعد أن أجرت لهم عملية التلقيح بمادة (الاستعمار)، وهي مادة من خصائصها تعقيم الخصائص، فلم يبق المعلم معلما علميا، ولا الطبيب طبيبا إنسانيا، ولا الراهب أبا روحيا، وإنّما جاؤوا في ركاب الاستعمار ليخدموه ويثبتوا أركانه...فهل حكومة فرنسا بعد إعدادها للرهبان، واعتمادها على الرهبان، دولة لائكية؟**" (الإبراهيمي، 1997، صفحة 97).

وإذا كنّا قد ذكرنا ذلك الحقد الصليبي الذي أظهرته الحملة الفرنسية على الجزائر، وما تلاها من سياسات تنصيرية أرادت من خلالها خدمة الصليب؛ باستهدافها المساجد والأوقاف وتشجيع البعثات التنصيرية، فإنّنا في المقابل نجد توظيفا للمحتل الفرنسي للدين خدمة لسياساته ومخطّطاته، كما أنّه طيلة أواخر القرن التاسع عشر وحتى أوائل القرن العشرين، وفي الوقت الذي كانت فيه الدولة الفرنسية في أوروبا تفصل بوتيرة متنامية سلطتها على الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، فرضت في الجزائر فرضا متزايدا بالشريعة الإسلامية لإحكام سيطرتها الاستعمارية على المسلمين، وخوفا من فقدانها (الحسن، 2021، صفحة 04).

ويتأكّد لنا هذا التوظيف للدين من خلال ما قام به قادة الاحتلال الفرنسي بالجزائر؛ فرغم أنّ عهد بيجو(Bugeaud) أطلق عليه لفظ "**السيف والمحراث**" (Azan, 1948)، وتميّز باستعمال القوّة والترهيب ضدّ الجزائريين، فإنّنا نجد أنّ السياسة الاستعمارية تميّزت في القرن التاسع عشر أيضا بوسائل أخرى لا تقلّ جُرما؛ من ذلك أنّه قدّم خدمات للصليبية في الجزائر، فقد نقل لنا بوجولا (Poujoulat) وصفا لما دار بينه وبين بيجو، في أحد قصور الجزائر سنة 1842م؛ فقال: "**سألني المارشال بيجو: ماذا نفعل في الجزائر؟ فأجبتُه: لكي نواصل العمل الذي بدأه غودوفروي، ولويس السابع، وسان لويس**"، **ثمّ أنهى كلامه قائلا: "إنّ الحرب التي تقوم بها في إفريقيا، إنّما هي حلقة من حلقات الحروب الصليبية**" (لشرف، 1983، صفحة 51)، كما نسب الجنرال دوفيفيي (Duvivier) هذا القول لبيجو، والذي جاء فيه: "**وحتى نُحضّر فلا بدّ من نشر الأفكار الإنجيلية، وإنّ هذه الأفكار هي التي سوف تضمن هيمنتنا**" (حباسي، 1997، صفحة 87).

ونجد من جهة أخرى أنّ بيجو أراد مع جيشه، استغلال الدين و توظيفه كمبرّر لهمجيتهم؛ فهذا لاموريسيير (Lamoricière) يقول: "**عند الشعوب المتخلّفة فإنّ الحرب بمثابة عمل ديني حقيقي**" (حباسي، 1997، صفحة 90)، أمّا بوجولا فقال: "**إنّ الله من أسمائه الحسنى إله الجيوش وإله المعارك... والمجتمعات لا تقوم إلاّ على الدماء و الدموع... إنّ الهدف من حربنا في إفريقية، هو أقدس وأسمى من حروبنا في أوروبا، لأنّ الموضوع هنا هو القضيّة المقدّسة...التي سخر الله لها العبقرية الفرنسية، لتكون لها سندا قويا**" (لشرف، 1983، صفحة 273)، كما تمنى المفكر الفرنسي الكاثوليكي لويس فييو (Louis Veuillot) (1813–1883) أن يكون

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

في صفوف الجيش؛ فقال: "**كم كنتُ أتمنى في هذه اللحظة أن ألبس بدلة جنودنا، وأن أحسّ بالسيف يقارع ركبتي، إنه سيف الله نضرب به عدوه**" (لشرف، 1983، صفحة 272).

ونأتي فيما يلي إلى عرض بعض النماذج عن توظيف الدين في الأغراض الاستعمارية من طرف المحتل الفرنسي؛ والتي نذكر منها:

1.2. مهمّة ليون روش

لم يتوقف الأمر عند توظيف المسيحيّة وتأويل نصوصها خدمة للسياسة الاستعمارية (الحكيم، 2020، صفحة 14، 17)، بل تجاوزه إلى أمر أشدّ شناعة من ذلك، بتوظيفهم الدين الإسلامي في الحرب ضدّ الجزائريين، وهو أمر لا يستطيع المرء أن يبقى جامد الشعور اتّجاهه، ولا يتعصّر قلبه غيظا وكمدا وهو يتتبّع فصول هذه الجريمة التي تفوق كلّ التصورات، ونعني بذلك المهمّة التي قام بها الجاسوس ليون روش (L'eon Roches) (1810–1901) (سكوت، 1980، صفحة 169) للحصول على فتوى من علماء القيروان ومكة والأزهر، تدعو الجزائريين باسم الإسلام إلى وقف الحرب والاستسلام. وعن ذلك قال بول آزان (P.Azan): "**إنّ بيجو عرف كيف يدخل الوساوس الدينية على الأهالي، ومن أجل ذلك كلّف ليون روش (السكرتير القديم للأمير) بمهمّة للحصول على فتوى من علماء مكة والقاهرة** " (Azan، (s.d))، ووقع اختيار بيجو على ليون روش للقيام بهذه المهمّة، كونُه يتقن اللّغة العربية، ومطّلع على عادات وتقاليد المسلمين، وله معارف كثيرة مع كبار شيوخ القبائل (مناصرية، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب (1832–1847)، 1990، صفحة 40).

لبس ليون روش لباس مقدّم من مقدّمي الطريقة التيجانية، وتَسمَّى باسم عمر بن عبد الله الجزائري، ورافقه عدد من العملاء والبلهاء الجزائريين، كان على رأسهم محمّد التيجاني، ومقدّم إحدى الطرق في سيدي عقبة، ومحمّد المزاري آغا الدوائر، ومقدّم الطريقة التيجانية بالأغواط (القاسم، 1992، صفحة 237)، وسلّم الجنرال بيجو لروش، بتاريخ 19 جويلية 1841م رسالة منه إلى قنصل فرنسا العام في تونس، يوصيه فيها بمساعدة روش في القيام بهذه المهمّة السرّية، فدخل روش وأتباعه مدينة القيروان، واستطاع بمساعدة رفقائه من أتباع الطريقة التيجانية، أن ينال الفتوى من مجلس علماء القيروان (روش، 2011، صفحة 38)، كما واصل روش رحلته إلى الحجاز، مرورا بمصر.

وصف ليون روش طريق رحلته إلى الحج، والتي مرّت عبر مصر، وذكر – في رسالته التي أرسلها إلى الجنرال بيجو من القاهرة في نوفمبر 1841 (روش، 2011، صفحة 37، 38) – أنّ مهمّته فيها نجحت بموافقة علماء الأزهر على هذه الفتوى؛ فقال: "... **لقد تمكّنتُ في آخر المطاف من انجاز القسم الأكبر من المهمّة التي شئتُ أن تعهد بها إلي، لقد أقرّ المجلس الأعلى للأزهر المؤلّف من جهابذة الدين الإسلامي فتوى مجلس القيروان التي أرسلتُ إليك فحواها في رسالتي من سوسة المؤرّخة في أغسطس 1841**..." (روش، 2011، صفحة 38).

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

واصل ليون روش رحلته إلى مكة من أجل الحصول على فتوى من علماء الحجاز أيضا؛ وقال عن ذلك: "...**إذا تمكّنتُ من رفد فتوى القيروان التي أقرّها علماء القاهرة، بإقرار من شريف مكّة الأكبر، وجهابذة المراكز الدينية في المدينة ودمشق وبغداد، فسيكون لها تأثير أكبر في نفوس مسلمي الجزائر، هذا هو الهدف الذي أصبو إلى بلوغه بذهابي إلى مكّة**" (روش، 2011، صفحة 39)، وأكّد على إقرار علماء الطائف على تلك الفتوى (روش، 2011، صفحة 148)، بعدما قام شريف مكّة بجمع مجلس العلماء عنده للتداول في شأن الفتوى، وحضر مفتو المذاهب الأربعة وغيرهم، منهم أحد العلماء المهاجرين من الجزائر – اسمه محمّد بن علي السنوسي– (القاسم، 2009، صفحة 35).

قدِم ليون روش بهذه الفتوى سنة 1842م (روش، 2011، صفحة 182) (القاسم، 2009، صفحة 37)،

وكلّلت بمصادقة علماء الأزهر، وشريف مكة والطائف، على محتوى الفتوى (مناصرية، 1990، صفحة 41)، وكانت خلاصتها: "**يجب على المسلمين أن يقبلوا العيش تحت الاحتلال، إذا كانوا لا يمتلكون أيّ أمل في المقاومة والانتصار، بشرط المحافظة على حرّية الممارسة الدينية، وإذا لم يؤذ الفرنسيون نساءهم وأطفالهم** " (Azan P.، (s.d)، صفحة 69)، وكتب إلى القنصل فريسنيل وإلى بيجو يعلمُهما بنجاحه في مهمّته، واعتبر روش أنّ هذه الفتوى: "...**من الوسائل التي استُخدمت لمحاربة الأمير الشهير (الأمير عبد القادر) معنويا وماديا للقضاء على هيبته، وكسب تأييد الشعوب المسلمة التي كان قد حرّضهم علينا**" (روش، 2011، صفحة 69)، وهو ما أكّده في رسالته السابقة إلى بيجو في نوفمبر 1841؛ بأنّه بانتشار الفتوى في جميع أرجاء الجزائر "...**سيحدث ذلك في رأيي تأثيرا بالغا في قرارات القبائل الجزائرية، وستتحقق عمّا قريب من نتائجها الطيبة**" (روش، 2011، صفحة 38).

وكان هذا العمل الذي قام به ليون روش بدعم ومتابعة من طرف الجنرال بيجو؛ وقد اعتمد على الأموال التي أرسلها هذا الأخير في مهمّته باستصدار هذه الفتوى، وذكر في إحدى مراسلاته والمؤرّخة في نوفمبر 1841: "...**تسلمتُ الرسالة العطوفة التي وجّهتها إلي، واستلمتُ الحوّالة التي تضمّنتها وقدرُها أربعة آلاف فرنك، وصل هذا المبلغ في الوقت المناسب لأضمن سلامة نيّة علماء القاهرة، الذين كان ينبغي عليّ إقناعهم بحجج لا يمكن مقاومتها، كما كان الأمر مع علماء القيروان**..." (روش، 2011، صفحة 37، 38)، وهو ما يؤكّد استعمال ليون روش ودفع الأموال للحصول على الفتوى، فقد ذكر محبّ الدين الخطيب في الحديقة بعنوان "**اعترافات جاسوس**"، على لسان ليون روش: "...**وإنّي تمكّنتُ من استغواء بعض هؤلاء الشيوخ في القيروان والإسكندرية ومكّة، فكتبوا إلى المسلمين في الجزائر، يُفتونهم بوجوب الطاعة للفرنسيين، وبأن لا ينزعوا إلى الثورة، وبأنّ فرنسا خير دولة أخرجت للنّاس، وكلّ ذلك لم يكلّفني غير بعض الآنية الذهبية**" (الخطيب، 1347هـ، صفحة 192، 194).

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

أمّا رد فعل الجزائريين عن عمل ليون روش، فنجد أنّ هذا الأخير أكّد انكشاف أمره؛ فقد ذكر أنّ حجّاجا جزائريين أعلموا القاضي في مكّة يوم الوقفة بعرفات، من: "**أنّ نصرانيا متنكّرا بزيّ مسلم، وصل إلى مكّة منذ بعض الوقت، ويؤكّد هؤلاء الجزائريون أنّهم يعرفونه حق المعرفة، لأنّهم قابلوه في الجزائر، وقد شهدوا أنّه كان جاسوسا أرسلته الحكومة الفرنسية**" (روش، 2011، صفحة 169، 170)، لكن شريف مكّة المسمّى محمّد بن عون – حسب روش– أصدر تعليمات لرجاله فقاموا باختطافه وحمايته، قبل أن يقوموا بترحيله إلى ميناء القصير بالجانب المصري على البحر الأحمر على متن إحدى سفن شريف مكّة، وهو العمل الذي حمده ليون روش له ولرجاله بقوله: "**أيّ عرفان بالجميل أدين به لهذا الشريف الأكبر وأتباعه الذين قاموا بانتشالي من أيادي أبناء دينهم المتشدّدة، وأحاطوني بالرعاية وبالمعاملة الحسنة**" (روش، 2011، صفحة 170، 171).

ولم تجد الفتوى التي حازها ليون روش صدى وتأثيرا يُذكر في أوساط الجزائريين، ومقاومتهم للاحتلال الفرنسي؛ فقد اعتبروها عملا انهزاميا، لم يحد من مقاومتهم للاحتلال، فسُجّلت في الفترة التي أعقبت صدور الفتوى معارك ضارية، كان منها معركة سيدي إبراهيم سنة 1845م، والتي لقي فيها العقيد مونتانياك حتفه (لشرف، 1983، صفحة 103)، لتهب رياح النصر لصالح الأمير عبد القادر؛ فبعد انتصار سيدي ابراهيم كانت سيدي موسى، عندما أرسل الأمير فرسانه لاعتراض القافلة التي أرسلها كافينياك من تلمسان إلى عين تيموشنت، وهجموا عليها قرب سيدي موسى في 27 سبتمبر 1845، وفاجأوا مائتي رجل الذين كانوا فيها، فتركوا أسلحتهم وعشرين ألف من الذخيرة (Ferrah، 2004، صفحة 139، 140).

وإذا جئنا لمناقشة نصّ هذه الفتوى، وطرح عدد من التساؤلات حولها، والتي كانت بالتأكيد هي نفسها التي طرحها الجزائريون على أنفسهم وهم يستلمونها؛ **هل كانت الحرّيات الدينية محفوظة فعلا؟ وهل كانت أرواح النساء والأطفال مصونة؟** خاصّة في عهد بيجو الذي كان راعي هذا العمل، ومع ما ذكره بول آزان (P.Azan) في تعليقه على الفتوى، من أنّ احترام الدين والنساء كان منذ احتلال الجزائر سنة 1830م، شرطا أساسيا في السيطرة على الجزائر (Azan،(s.d)، P 69)، وهو الذي يمكن وصفه بالكذب والافتراء، تدحضه وتنفيه تلك الجرائم التي ارتكبها المحتلّون منذ الاحتلال، وخاصّة في فترة حكم بيجو (عيساوي، 2011، صفحة 85، 125)، إلى غاية إصدار هذه الفتوى المشؤومة.

ولم يتوقف الأمر هنا، فلقد أقدم بيجو بعد ذلك ولإتمام هذه الجريمة التي تجنّى فيها عن الدين الإسلامي، بإعداد خاتم نُقش عليه باللّغة العربية، شطر من الآية: "**إنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده و العاقبة للمتّقين**"، والذي كان يستعمله بيجو في جميع مراسلاته مع الأهالي (Azan،(s.d)، P 69)، بهدف كسب ولائهم لفرنسا باسم الدين (مناصرية، 1990، صفحة 42)، وهو تجرأ آخر على الدين الإسلامي باستعمال آية من آيات القرآن الكريم من أجل السيطرة على الجزائريين، رغم أنّها لا تعني ولا تخاطب من يحمل الصليب، ومن يخلّف وراءه الجثث والدمار (عيساوي، 2011، صفحة 125).

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

2.2. رحلة جيرفي كورتيلمون (Gervais Courtelement)

أمام حركة الهجرة المتزايدة من الجزائريين نحو المشرق، استشعر الفرنسيون الخطر الذي يهدّد أمنهم وسمعتهم في الخارج، ما جعلهم بحاجة إلى فتوى جديدة من أجل أن تؤمّن لهم الأوضاع داخليا في الجزائر، وخارجيا خاصّة في الحج، حيث يجتمع المسلمون من كلّ سنة لأداء مشاعرهم والتجارة والإعلام، بعد أن كانت في فترة سابقة بحاجة إلى فتوى لتحريم رفع السلاح، وهو ما أنجزه ليون روش مثلما رأينا ذلك فيما سبق، وقد جاء ذلك متزامنا مع القوانين التي أصدرتها السلطات الاستعمارية؛ مثل تجنيس المسلمين الجزائريين بمقتضى قانون 1865، وتغيير الحالة المدنية بقانون 1882، والتي أدّت إلى حركة هجرة نحو المشرق (القاسم، 2009، صفحة 39).

جيرفي كورتيلمون هو مصور فوتوغرافي، ولد بأفون (Avon)، بالقرب من فونتبلو (Fontaine Bleau) شمال فرنسا، بعد وفاة والده وهو طفل صغير، أعادت أمه الزواج من أحد الضباط فاستقدمته معها إلى الجزائر عام 1874، فنقل إليه زوج أمه حبّ الشرق الذي سكن فيه (Boulouch ،1996 ،P 56)؛ فقد كان سحر الشرق بالنسبة إليه بمثابة فرح إنسان عجوز يتذكر أيّام طفولته، وبعد أن سافر إلى طنجة وإلى إسطنبول ونشر رحلته في خمس مجلّدات، طمح بأن تكون مكّة والمدينة موضوع مجلّده السادس (رالي، 2009، صفحة 228).

عزم جيرفي على الحج، فخرج في خريف عام 1894 في رحلته إلى مكّة، والتي نشرها في كتاب بعنوان "**رحلة إلى مكّة**" (Mon voyage la Mecca) (Boulouch ،1996 ،P 69) ، في الوقت الذي مُنع الحج على المسلمين الجزائريين في ذلك العام بسبب الوباء بمكّة، وكان دليله رجلا جزائريا اسمه الحاج آكلي، الكثيرُ التردّد بين الشام والحجاز ومصر والجزائر للتجارة، نشأت بينهما صداقة عندما تدخّل جيرفي عام 1890 لمنع سجنه بعدما لجأ إليه طالبا حمايته (Courtellemont ،1897 ،P06)، واعترافا بالفضل لبّى الحاج آكلي دعوة صديقه جيرفي ليكون دليلا له في رحلته إلى الحجاز، ومن جهتها أعدّت السلطات الفرنسية جوازا مزوّرا باسم عربي ليحمله جيرفي كورتيلمون، ووفّرت المال اللازم وكلّفته بمهمّة خاصّة جدّا، وأعلمت القناصل الفرنسيين بذلك، من أجل تقديم التسهيلات لهذا المبعوث المتنكّر (القاسم، 2009، صفحة 41).

غادر الحاج آكلي وجيرفي الجزائر نحو جدّة مباشرة، عن طريق باخرة تدعى غلوكوس (Glaucaus)، ودامت رحلتهما عشرة أيام، وتفاديا لانكشاف الأمر قاما بتأجير الحمير بدل البعير للتوجّه إلى مكّة، هذه الأخيرة التي لم تتزامن زيارتهما إليها مع موسم الحج، وأنجز عمله رغم مرض الحاج آكلي، واستعانته بشخص آخر من غرب إفريقيا يدعى عبد الواحد، قبل أن يعود جيرفي إلى جدّة ثمّ بحرا إلى السويس، ومن هناك عاد إلى مارسيليا، وبعد رجوعه ألقى محاضرة حول رحلته في مدينة بوردو، كان ليون روش من بين الحاضرين فيها، وقد أدى نجاحه في مهمّته هذه إلى حصوله على رتبة فارس في جوقة الشرف الفرنسية (رالي، 2009، صفحة 230، 242).

وأكّد الأستاذ جمال قنان من خلال الوثائق التي اطّلع عليها أنّ المهمّة التي كلّف بها جيرفي كورتيلمون، كانت تتمثل في سعي المقيم العام جول كامبون في استصدار فتوى خلال موسم الحج لعام 1893، عندما كلّف

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

أحد الحجّاج الجزائريين وزوّده بالهدايا بالاتصال بشيوخ المذاهب السنّية المقيمين في مكّة المكرّمة والحصول منهم على فتوى حول موضوع الهجرة، مثلما فعل بيجو مع ليون روش من قبل، من أجل استخدامها لمد نفوذ فرنسا إلى واحات توات، وتجنّب أي مقاومة لذلك، واستعمالها من جهة أخرى لمجابهة حركة الهجرة التي بدأت مؤشراتها تظهر في مختلف مناطق شمال البلاد (قنان، 2007، صفحة 262)، ومقاومة تأثير الجامعة الاسلامية (القاسم، 2009، صفحة 44).

اعتبرت الفتوى – التي لا يعرف من صاغها (القاسم، 2009، صفحة 44) – أنّ الجزائر تحت الاحتلال الفرنسي دار إسلام وليست دار حرب؛ فقد افتتحت بالسؤال: "**ما قولكم في أهل بلدة مسلمين قد استولى عليهم الكافر وصار حاكما عليهم، ولم يتعرّض لهم في أمور دينهم بل يحثّهم على إجراء أحكامهم الدينية ووظف عليهم قاضيا من أهل دينهم يجري عليهم الأحكام الشرعية وجعل له معاشا وافرا يأخذه على رأس كلّ شهر، فهل مع هذا تجب عليهم الهجرة أم لا؟ وهل تجب عليهم مقاومته ومحاربته مع عدم قدرتهم على ذلك أم لا؟ وهل بلدهم التي استولى عليها يقال لها دار حرب أم دار إسلام؟ بيّنوا لنا بيانا شافيا قاطعا للنزاع أيّد الله بكم الدين**" (قنان، 2007، صفحة 262، 263)، وإذا جئنا لمحتوى هذه الفتوى، والذي لن نناقشه هنا بالنظر إلى اختلاف آراء الفقهاء في هذه المسألة (الونشريسي، 1996) (القادر، 1903، صفحة 268، 277) (خديجة، 2008، 2009، صفحة 131، 140)، ولكن نقول أنّ إجابات العلماء الثلاثة لم تكن واضحة ومفصّلة في المسألة؛ فقد اعتبر مفتي مكة المكرّمة أنّ: "**البلاد التي في أيدي الكفار بلاد إسلام لا بلاد حرب...**"، في حين أجاب مفتي الشافعية عن السؤالين الثاني والثالث؛ بأنّه: "**لا تجب مقاومة الكفّار مع عدم القدرة...**"، و:"...**أنّ بلاد الإسلام لا تصير باستيلاء الكفّار عليها دار حرب**"، وهو ما وافقه عليهما مفتي المالكية بمكّة آنذاك (قنان، 2007، صفحة 263، 264).

كما أنّنا نجد أنّ صيغة السؤال الموجّه للعلماء بُني على مقدّمات خاطئة؛ فهل فعلا لم يتعرض الحاكم والمتمثّل في المحتل الفرنسي لهم في أمور دينهم، **فأين نضع الاعتداء على المساجد وتهديمها وتحويلها إلى كنائس وثكنات، واستهداف الأوقاف الإسلامية؟** ومن جهة أخرى لقد سعى الفرنسيون إلى إلغاء القضاء الإسلامي، بدءا من قرار 10 أفريل 1834، ثمّ قرار 03 ديسمبر 1859، والذي جرّد القاضي من العمل بالشريعة الإسلامية، إلا في بعض المسائل القليلة (عيساوي، 2011، صفحة 143)، كما ألغيت المحاكم الإسلامية بمنطقة القبائل، وأصبح الاحتكام فيها للعرف والقانون الفرنسي، وليس للشريعة الإسلامية (سعيدي، 2023، صفحة 62).

ورغم أنّ الفرنسيين قد أذاعوا هذه الفتوى واعتبروها انتصارا سياسيا كبيرا، فإنّ الهجرة لم تتوقف، وازداد القلق والتذمّر من التوسّع الفرنسي نحو الصحراء (القاسم، 2009، صفحة 45)، وإن كان يصعب قبل بداية القرن العشرين، الحديث عن هجرة عفوية أو عن وجود حركة هجرة، فقد أدّى تطوّر الاستعمار والرأسمالية الزراعية إلى مضاعفات أوضح، نتج عنها هجرات ريفية واسعة نحو المدن الجزائرية، أو حتى نحو تونس (بوقصة، 2005، صفحة 41، 42).

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

ويتأكّد لنا من خلال نشاط ليون روش وجيرفي كورتيلمون، أنّ فرنسا عملت على توظيف الرصيد العقائدي خدمة لأغراضها وسياساتها الاستعمارية، وذلك بمحاولتها استغلال النصوص الدينية، والاحترام الذي يكّنه المسلمون الجزائريون لمقدّساتهم ومؤسساتهم العلمية في المشرق، من أجل تسهيل تمرير مختلف المخططات التي أرادت تجسيدها، وكان عملها ذلك فيه تأكيد بطريقة غير مباشرة على ارتباط الجزائر والمسلمين الجزائريين بعالمهم الإسلامي، سواء مع تونس، أو مصر، أو بالحجاز، وغيرها من البلاد الإسلامية.

3. السياسة الفرنسية والتضييق على الجزائريين

لجأت الإدارة الفرنسية إلى انتهاج جملة من الإجراءات والسياسات المتعلّقة بتنقل الجزائريين، سواء داخل الجزائر أو خارجها، على غرار ما تضمّنه قانون الأهالي المؤرّخ في 28 جوان1881 (Merbe ،2004 ،P142،143)؛ والذي تناول في بعض أحكامه تنقل الأهالي الجزائريين، فإضافة إلى المنع الذي جاء في المادة 16؛ فيما يخص "الإقامة المنعزلة بدون ترخيص خارج المشتة أو الدوار..."؛ فقد نصّت المادة 17: "**مغادرة إقليم البلدية قبل دفع الضرائب، أو دون الحصول على تصريح مسبق للسفر**" (Grandmaison ،2011، P94)، وهما المادتان اللتان تمّ وضعهما من أجل مراقبة التحرّكات الجماعية والفردية للسكان الأصليين قدر الإمكان (Grandmaison ،2011، P95،94).

ونأتي فيما يلي إلى استعراض بعض الأمثلة من حالات المنع التي طالت الأهالي الجزائريين، والمتعلّقة بمراقبتهم والتضييق على تنقلهم وسفرهم إلى بلدان العالم الإسلامي الأخرى خلال فترات من القرن العشرين، والتي نحاول من خلالها مقارنة هذه الاجراءات مع ما رأيناه من سعي حثيث من ذات السلطة لربط الاتصالات وتكليف القناصل ومختلف الهيئات، من أجل الحصول على فتاوى من هذه الأقطار دعما لسياساتها ومخططاتها.

1.3. المنع والتضييق على الحج

انتبهت الإدارة الاستعمارية إلى ما قد يشكلّه الحج من تهديد لمصالحها في الجزائر، فعاملته بإجراءات خاصّة على مدار احتلالها؛ فبعدما عدمت فرنسا إلى الاستفادة منه بإرسال أعوانها وجواسيسها كما فعلت مع ليون روش، وجيرفي كورتلمان، أحاطته بالكثير من اجراءات التضييق والتشديد على الأهالي الجزائريين الراغبين في أداء ركنهم الخامس، وذهب الشيخ البشير الإبراهيمي إلى أنّ الحج في نظر الاستعمار هو أداة مهيّأة لاستعباد الأمم الإسلامية التي أوقعها القدر في قبضته، ومنه الاستعمار الفرنسي الذي كان يتحكّم في الحج ويجري عليه ألاعيبه حتى يخرجه عن حقيقته الدينية، إلى مساومة تجارية سياسية، وإلى معاملة استبدادية بين حاكم مسيحي مُستبد، بيده الباب ومفتاحه والرخصة والذهب والمركب وطرق السفر في البر والبحر والجو، وبين مسلم مغلوب على أمره (الإبراهيمي، 1997، صفحة 74، 75).

وزيادة على الأسباب التي كانت الإدارة الفرنسية توجدها لمنع الجزائريين من الحج؛ كمنعه في سنوات 1908، 1910، 1911، 1912، تحت ذريعة الظروف السياسية في تركيا، وبسبب انتشار الوباء في الحجاز (قبايلي، 2015، صفحة 270)، وهو الوباء الذي أسقط الحج قبل ذلك في عام1890 (P06، 1897،

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

Courtellemont)، فقد نقلت لنا عدد من الوثائق الأرشيفية شروطا وإجراءات زادت من صعوبة قيام الأهالي الجزائريين بهذه الفريضة؛ ومن ذلك:

– طلب إذن ورخصة مسبقة بالحج: فقد كان الجزائريون مجبرون إلى تقديم طلبات إلى السلطات من أجل المغادرة للحج (A.N.O.M، Série H , Boite 16H 103, 1907)؛ والذي يكون قبوله منتهيا بالحصول على جواز السفر الخاص بالحج. (A.N.O.M, GGA , Série H , Boite 16H 102, 30 Mars1906)

– توفر الحاج على تكاليف الحج ذهابا وإيابا، وأن يبيّن بالدليل ما يملكه وبشهادة الشهود، وهو الطلب الذي يشترط أن يضمّنه صاحبه شخصا يكون ضامنا فيه، ومن أمثلته طلب تقدّم به المسمّى البريكي بن جلول إلى حاكم ملحقة الأغواط في نوفمبر 1908، بقوله: "...**إلى سعادة المعظم السيد القبطان حاكم ملحقة الأغواط، اطلب من جزيل فضلك أن تأذن بالتسريح إلى حج بيت الله الحرام هذه السنة، والضامن على فيما يلزم كلّ السيّد دهيليس بن جلول...**" (M, GGA , Série H 16H 103, 1908.)، كما يحرّر له القاضي إشهادا بما يمتلكه من مال كافي لرحلته إلى الحج، وأنّه خالي من أيّ دين تجاه الدولة أو غيرها، وأنّه لم يترك أهله في عوز أو فاقة طول مدّة غيابه(M, GGA , Série H 16H 103, 1908.) .

– تمتّع الراغب في الحج بسيرة حسنة، وأنّه لم يتعرّض لعقوبة جنائية: ومن أجل ذلك كانت تبلغ نداءات لتوقيف أشخاص ومنعهم من الخروج(A.N.O.M, GGA , Série H , Boite 16H 102, 30 Mars1906) ، أو طلب تحقيقات عن الراغبين في الحج من القيّاد في الدواوير، وغيرها , (A.N.O.M, GGA , Série H Boite 16H 102, 30 Mars1906)، كما كان يتمّ أحيانا توقيف بعض الحجّاج وهم في طريقهم إلى الحج؛ مثلما جاء في مراسلة للمقيم العام الفرنسي بتونس في 27 مارس 1909، إلى الحاكم العام بالجزائر، وإعلامه توقيف جزائريين مدنين، ذكر أسماءهم ومناطقهم، ووصف بعضهم أنّهم "**متشردين**" (A.N.O.M, Algériens signalés, GGA , Série H , Boite 16H 102, 27 Mars 1909.)

إنّ الشروط المثقلة التي طبّقت على الجزائريين الراغبين في الحج، جاءت لتضيف صعوبات أخرى إلى تلك الصعوبات التي كان يتكبّدها الحاج أثناء رحلته إلى الحج؛ كنفاذ المال (A.N.O.M، H 16 GGA, Boite 102)، وظروف النقل في السفن، ومختلف الأمراض، و التي أكّدها الفرنسيون أنفسهم (A.N.O.M, Relation médicale d'un voyage de transport de pèlerins Musulmans au Hedjaz année 1907, 1908, Rapport adressé à monsieur de l'intérieur, GGA , Boite 10H 68, 22 février 1909)، وعايشها ليون روش وجيرفي في رحلتيهما (روش، 2011، صفحة 35، 37) (رالي، 2009، صفحة 230، 235)، و عبّر الشيخ البشير الإبراهيمي أنّ المستعمر لم يكتف بما وضعه من شروط حول الاستطاعة: "...**فأضاف إليه شروطا من عنده تثقل الكواهل، وتجرح الضمائر، وتنافي الروح الديني، وتشوب الإخلاص القلبي...**"، وذكر اشتراطها عليه البراءة من التهم والجرائم المدنية والسياسية، ما نفى التوبة على المسلم، كما لا يمكن الاتفاق على هذه الجرائم بين ما يراه المسلمون والأوربيون (الإبراهيمي، 1997، صفحة 75، 77).

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

وأمدّتنا المادة الأرشيفية عن مظهر من مظاهر مواجهة السياسة الاستعمارية فيما يخص الحج، بتسجيلها عن حالات كثيرة جدّا ومتكرّرة عبر مختلف السنوات، لقيام جزائريين بالحج سرّا دون حيازتهم تلك الشروط الموضوعة، ودون اتمام الإجراءات الضرورية قبل التنقل لأداء فريضة الحج؛ وهو ما ترتّب عنه قيام السلطات المحلّية ممثّلة في الوالي (Le préfet) بمراسلة الحاكم العام (Le gouverneur général)، وهي المراسلات التي وردت بعنوان "**حج سرّي إلى مكّة**" (Pèlerinage clandestins à la Mecque) (A.N.O.M, Pèlerinage clandestins à la Mecque(Tablat), GGA, Boite 16H 102, 06 Octobre 1909.)، وبسبب ذلك كانت تصدر أوامر للبحث عنهم لدى مصالح الأمن والشرطة (A.N.O.M, Pèlerinage de la Mecque, Départ clandestin, GGA, , Boite 16H 102, 18 Mai 1909)، وسجّلت حالات تمّ توقيفها وتحويلها إلى السجن والاعتقال (A.N.O.M، Etat – Monsieur le directeur des affaire indigènes à nominatif des individués détenus par mesure administration et pour lesquels au une la date du 20 février 1909 à prise été a'décision n ,GGA ،Boite 16H 102).

2.3. مراقبة الطلاّب الجزائريين بالزيتونة والأزهر

دفعت السياسات الاستعمارية في مختلف جوانب الحياة إلى تنامي حركة الهجرة الجزائرية إلى الخارج، سواء إلى فرنسا نفسها بغية الحصول على العمل، أو إلى المشرق هربا من التجنيد الإجباري، وتطوّرت حركة الهجرة الجزائرية إلى الخارج عبر مختلف مراحل الاحتلال؛ وستعرف منعرجا آخر خلال الحرب العالمية الثانية، مع تشجيع حكومي لحركة استقدام اليد العاملة من شمال إفريقيا، لإعادة بناء ما حطّمته الآلات العسكرية الألمانية بفرنسا (بديدة و آخرون، 2016، صفحة 231، 232)، أو من أجل طلب العلم؛ وقد كان الطالب الدارس للغة العربية أكثر شعورا من غيره باضطهاد المحتل للغته وثقافته العربية الإسلامية، فلم يجد سوى الهروب بنفسه، يتأبّط يمينا لغته ويسارا مقوّمات شخصيته العربية الإسلامية (هلال، 2012، صفحة 69).

وإذا كان المحتل الفرنسي قد سعى لأن يربط علاقات مع المؤسّسات العلمية في المشرق الإسلامي خدمة لمصالحه، مثلما فعل في مهام ليون روش، فإنّنا نجده يضيق على تلك العلاقات وحركة الجزائريين إلى تلك المؤسّسات، على غرار الزيتونة أو الأزهر، وقد اهتم الفرنسيون بهؤلاء الطلبة اهتماما خاصا، واعتبرهم خطرا يهدّد وجوده بالجزائر في كلّ مكان وزمان، فلاحقهم أينما حلّوا واخضعهم للمراقبة الصارمة والمستمرة، وتتبّع خطاهم الدراسية وغير الدراسية في الداخل والخارج (هلال، 2012، صفحة 69، 70).

1.2.3. الطلبة الجزائريون بالزيتونة

نستعرض فيما يلي ما تضمّنته بعض الوثائق في الأرشيف الفرنسي على المتابعة التي كانت تحرص عليها إدارة الاحتلال لكلّ ما تعلّق بالطلبة الجزائريين الذين يدرسون في الزيتونة بتونس؛ فقد جاء في مراسلة مؤرّخة في 12 مارس 1940 أرسل بها الضابط تيريات(Thiriet) قائد ملحقة الوادي، إلى القائد العسكري لإقليم تقرت، بعنوان "**طلبة الزيتونة بتونس**"، تضمينه فيها: "...**قائمة بأسماء مختلف أهالي الملحق الخاص بـ[ــه]، للطلاب**

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

السابقين أو طلاب الزيتونة بتونس..." (A.N.O.M, des Etudiants à la Zitouna de Tunis, GGA, Boite 9H 81, 12 Mars 1940)، وهو كجواب على طلب سابق للقيام بذلك مؤرخ في 13 فيفري 1940، فأرسل قائمة بأسماء أربع وعشرين طالبا من الأهالي الذين أكملوا أو الذين لا يزالون يزاولون دراستهم بالزيتونة، وكان الطلبة الذين ذكرهم بالاسم، تتراوح أعمارهم بين 15 و42 سنة، وأصولهم وعناوينهم الحالة، وكذلك المدّة التي قضاها كلّ منهم في الزيتونة من 04 و08 أشهر عند اثنين منهم والتي امتدت إلى 07 سنوات عند أحدهم، كما ذكر في الجدول أنّ جميعهم لم يحصل على الشهادة (A.N.O.M، la Zitouna à des Etudiants a la grand mosquée de Tunis et dans ses étudiants Algériens'de Tunis – liste d deux annexes(territoire du sud)، GGA, Boite 9H 81, 12 Mars 1940)، كما أرفقت تلك المراسلة بجدول ملحق تضمّن عناوين الطلبة بتونس، والذين اختلفت إقامتهم بين الفنادق، أو المنازل، أو الزوايا، كزاوية الباهي، والزاوية التيجانية باب المنارة (A.N.O.M، la Zitouna de Tunis – à des Etudiants a la grand mosquée de Tunis et dans ses deux étudiants Algériens'liste d annexes(territoire du sud)، GGA, Boite 9H 81, 12 Mars 1940).

وما يستوقفنا في هذا الجدول هو الخانة التي بعنوان "**العلاقات المعروفة عنهم ومواقفهم تجاه مختلف الحركات الجزائرية**"؛ والتي ذكرت أنّه "**لا يتمتع أيّ من هؤلاء المواطنين المختلفين، سواء في الجزائر أو في تونس، بأي علاقات من المحتمل أن تثير الانتباه، كما أن هؤلاء الطلاب ليسوا على اتصال مباشر مع الشخصيات الدينية أو السياسية التي تترأس مختلف الحركات في شمال إفريقيا، ومع ذلك تجدر الإشارة إلى أنّ الجميع دون استثناء، يؤيّدون العلماء الإصلاحيين، وأنّ الشيخ بن باديس يجمع بلا شك كلّ أصواتهم المتعاطفة، هذه المشاعر مهما كانت مُقَنّعَة، تبدو مع ذلك مُميّزة لحالة ذهنية مؤسفة، وتبرّر المراقبة الصارمة التي يجب ممارستها على الأشخاص المعنيين**" (A.N.O.M، la Zitouna de Tunis à des Etudiants a la grand mosquée de Tunis et dans ses deux étudiants Algériens'– liste d annexes(territoire du sud)، GGA, Boite 9H 81, 12 Mars 1940).

وأضاف التقرير عن الموقف السياسي للطلبة المذكورين؛ أنّه: "**ووفقا للمعلومات الواردة، فإنّ الموقف السياسي لهؤلاء الطلاب في تونس، سيكون موجّها نحو الدستور الجديد، وقد مورس بشكل علني في هذا الاتجاه، وعلى العكس من ذلك في سوف، حيثُ يتبنون تحفظا حكيما، يخفون مشاعرهم وعدم بذل أي جهد دعائي لصالح حركة أي حزب، ومع ذلك يجب اعتبارهم غير مواتين لقضيتنا**"، وأوصى القيام بإجراءين تجاه الطلبة الذين ما زالوا موجودين في تونس؛ وذلك بتعداد جميع من هم في سن التجنيد وإدماجهم الفور، إضافة إلى الإعادة القسرية إلى الوادي بالنسبة لأولئك الذين لم تعد أعمارهم أو لم تسمح لهم بذلك بعد بإجراء إحصائهم (A.N.O.M، la Zitouna de Tunis – liste d à des Etudiants a la étudiants Algériens'la Zitouna de Tunis et dans ses deux annexes(territoire du sud)، GGA, Boite

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

9H 81, 12 Mars 1940)، وفي هذا السياق جاء في مراسلة الحاكم العام إلى المدير المساعد في الجزائر بتاريخ 4 جانفي 1940، والتي تتعلّق بخمسة وخمسين طالبا جزائريا يزاولون دراستهم بالزيتونة في تونس، ومطالبته: "... **بدراسة حالة كلّ منهم، مع الأخذ في الاعتبار المعلومات التي تمكنتم من جمعها عن خلفيتهم وكذلك عن موقف بيئتهم الأصلية، وأن تقترحوا عليّ أي تدابير مفيدة فيما يتعلق بهم...**" (A.N.O.M, Rapport le gouverneur général de l'Algérie à le sous-directeur des territoire du sud , GGA, Boite 9H 81, 04 janvier 1940.)

وتؤكّد لنا هذه التقارير ذلك الشعور بالقلق من طرف السلطات الاستعمارية وعدم اطمئنانها للطلبة الجزائريين الذين قصدوا تونس، باعتبارهم غير موافقين للسياسات الفرنسية، ما استدعي طلب المراقبة الصارمة لهم، من رصد لإقامتهم ونشاطهم، وتحرّكاتهم وعلاقاتهم، والشخصيات التي تواصلوا معها.

2.2.3. الطلبة الجزائريون بالأزهر

طالت المتابعة الطلبة الجزائريين الذين كانوا يدرسون في جامع الأزهر؛ فقد جاء في مراسلة رئيس مصلحة شؤون الأهالي السيّد ليهيرو (Lehuraux) بأوامر من الحاكم العام، إلى قائد الإقليم العسكري لتقرت؛ بأنّ المفوضية الفرنسية في القاهرة أبغت الإدارة في الجزائر عن وجود جزائريين حاليًا في مصر، حيث يواصلون دراستهم، ويستفيد بعضهم من منحة دراسية كاملة تمنحها لهم جامعة القاهرة بناء على طلب الشيخ بن باديس- حسبهم- ويستفيد آخرون على مخصّصات شهرية من الأوقاف المصرية (A.N.O.M, Etudiant Algériens à El Azhar(Caire), GGA, Boite 9H 81, 17 Avril 1940.)

أحصى التقرير وجود سبعة طلبة من الأهالي والذين ينحدرون من إقليم تقرت، وعلّق على أحد الطلبة بأنّه: "**لم يتم تقديم أي تفاصيل حول هذا المواطن الأخير لتحديد ما إذا كان ينتمي إلى المنطقة المدنية أو المنطقة العسكرية**"، وكذلك عدم التحديد بدقة لأصل طالب آخر؛ لذلك انتهت المراسلة بالقول: " **سأكون ممتنًا لو طلبت إجراء بحث لإبلاغي بأكبر قدر ممكن من الدقة عن أصل وأسلاف السكان الأصليين المذكورين أعلاه، بالإضافة إلى الوضع والميول السياسية لعائلاتهم**" (A.N.O.M, Etudiant Algériens à El Azhar(Caire), GGA, Boite 9H 81, 17 Avril 1940.)

وكان مركز المعلومات والدراسات، قد أرسل مذكرة إلى مختلف العمالات بتاريخ 08 أفريل 1940، جاء فيه أنّ عدد الطلاب الجزائريين الذين يتابعون دراستهم حاليا بجامعة الأزهر المصرية يقدّر بـ 33 طالبا، مقابل 22 مغربيا و16 تونسيا، وأضافت المذكرة أنّه: "...**من بين هؤلاء الطلبة من شمال إفريقيا نجد ثلاثة طلبة فقط، وهم جزائريون، يستفيدون من منحة كاملة من الجامعة، حصلوا عليها بناء على طلب الشيخ بن باديس بهدف إبقاء الجزائر في إطار الدول العربية**"، وجاء في المذكرة أن هؤلاء هم : "... **الفضيل الورتيلاني وإسماعيل العرب وعلاوة صلاح المعروفين**"، كما أكّد تخصيص أقساط شهرية لجميع الجزائريين والتونسيين والمغاربة من

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الأوقاف المصرية لا تتجاوز حوالي 9000 فرنك (A.N.O.M, Etudiant Algériens à El Azhar, GGA, Boite 9H 81, 08 Avril 1940).

واختتمت المذكرة بقائمة أرسلت إلى مختلف العمالات وإقليم الجنوب لهؤلاء الطلبة المعنيين والمعلومات التي جمعت عنهم في القاهرة؛ ليؤكّد القائد ووندر(Wender) أنّه: "...**سيكون من الجيّد إبلاغ السلطات المحلية المعنية عنهم، لجمع معلومات عن بيئتهم الأصلية، وعن الاتجاهات التي يمكن أن تنسب إليهم، ثم متابعتهم إذا عادوا إلى الجزائر، وإذا تمّ الحُكم على بعضهم المشتبه بهم، سيكون من الممكن لرئيس C.I.E، الحصول على تحقيق محدّد عن تصرّفاتهم في القاهرة**" (A.N.O.M, Etudiant Algériens à El Azhar, GGA, Boite 9H 81, 08 Avril 1940).

وإجابة عن طلب المذكرة السابقة، قام قائد ملحق بسكرة بتوجيه مراسلة إلى القائد العسكري لإقليم تقرت في 25 ماي 1940، ضمّنها معلومات بعد التحقيقات عن الطلبة الجزائريين بالأزهر من هذا الإقليم (A.N.O.M, Etudiant Algériens à El Azhar(Caire), GGA, Boite 9H 81, 25 Mai 1940.)؛ وحوّلت نسخة منها بتاريخ 04 جوان 1940 إلى قائد الكتيبة، رئيس مركز المعلومات والدراسات (A.N.O.M, Etudiant Algériens à El Azhar(Caire), GGA, Boite 9H 81, 04 juin 1940.)؛ ومن الأمثلة عن الطلبة الذين تمّ التحقيق بشأنهم؛ نذكر:

* الطالبين البشير بن العروسي الوافي، ومحمّد الصغير بن العروسي الوافي (A.N.O.M, Etudiant Algériens à El Azhar(Caire), GGA, Boite 9H 81, 25 Mai 1940.): واللذان ذكر التحقيق معلومات عنهما؛ نذكرها كما وردت في الوثيقة، كما يلي:

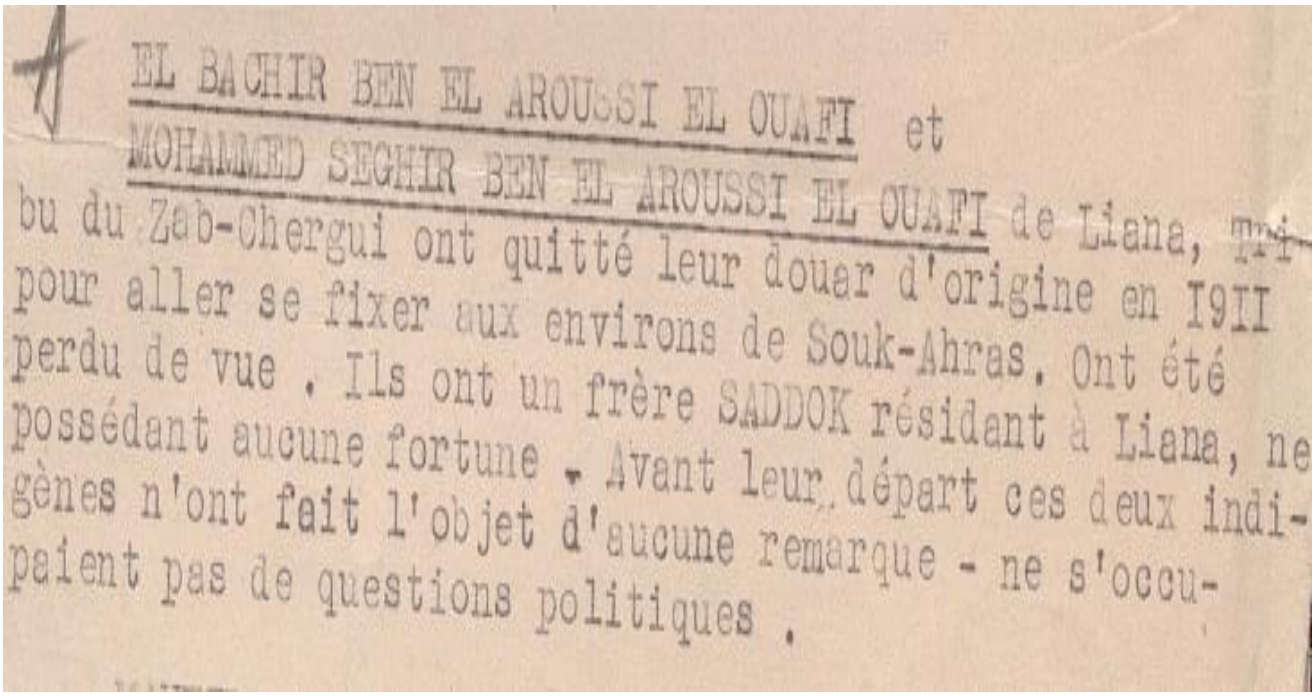
EL BACHIR BEN EL AROUSSI EL OUAFI et
MOHAMMED SEGHIR BEN EL AROUSSI EL OUAFI de Liana, mi-
bu du Zab-Chergui ont quitté leur douar d'origine en 1911
pour aller se fixer aux environs de Souk-Ahras. Ont été
perdu de vue . Ils ont un frère SADDOK résidant à Liana, ne
possédant aucune fortune . Avant leur départ ces deux indi-
gènes n'ont fait l'objet d'aucune remarque - ne s'occu-
paient pas de questions politiques .

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

ونلاحظ أنّ أهم ما جاء في التحقيق؛ هو عدم وجود أي ملاحظات عن الطالبين قبل المغادرة، كما لم يكن لهما أيّ تعامل مع القضايا السياسية، وهي نفس الملاحظات التي ذكرت فيما يتعلق بحالات أخرى من الطلبة؛ خاصّة بالتركيز عن عدم الاشتغال بالسياسة، وتكرار عبارة أنّه "**يتمتع بسمعة طيّبة**" (A.N.O.M, Etudiant Algériens à El Azhar(Caire), GGA, Boite 9H 81, 25 Mai 1940.)، وهو ما يعكس الحساسية الكبيرة التي كانت تبديها السلطات الاستعمارية تجاه من يدرس بجامع الأزهر، والتركيز على التأثير السياسي الذي كان للطالب سواء في الجزائر، أو أثناء إقامته العلمية بمصر، كما طالبت المذكّرة السابقة بمتابعتهم عند عودتهم.

أجلت لنا هذه الوثائق جانبا من الإجراءات الفرنسية تجاه الطلبة الجزائريين في القطرين التونسي والمصري، وهي إجراءات لم تتعلّق بهذه المنطقة من الجنوب الشرقي(الوادي أو تقرت أو بسكرة)، لكنها شملت جميع المناطق الأخرى من الجزائر؛ ومن ذلك ما ذكره محمّد علي دبّوز عن العلاقة التي ربطت معهد الحياة في ميزاب بمصر، وموقف السلطات الاستعمارية من ذلك؛ بقوله: "...**كانت صلة المعهد وثيقة بمصر، وكان الاستعمار الفرنسي يمنع كلّ ما يرد من مصر من مجلاّتها وصحفها، ويقطع الصلة بين الجزائر والأقطار العربية، ليكون الكتاب الفرنسي والصحف والمجلاّت الفرنسية المسمومة هي الغذاء العقلي الذي يجده الجزائريون فيصبغهم بما يريد، ولكن تونس كانت تحت الحماية الفرنسية، وكان البريد في الجزائر أقل ريبا ممّا يصل من تونس من المجلاّت والكتب...فكانت مكاتب تونس تبعث في طرود ملفوفة ما تشاء من مطبوعات مصر إلى الجزائر، وأجدت هذه المكاتب على النهضة في الجزائر جدوى عظيمة...**" (دبوز، 2013، صفحة 84).

خاتمة

من خلال ما سبق مناقشته، تبيّن لنا أن السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر تعاملت مع العالم الإسلامي وفق رعاية مصالحها وتحقيق سياساتها التي عملت على إبقائها بين الجزائريين؛ وهو الأمر الذي تأكّد لنا في ربطها الاتصالات مع قناصلها وممثليها في مختلف الدول الإسلامية التي كانت في طريق مبعوثيها ليون روش وجيرفي كورتيلمون، كما أنّ الفتاوى التي أرادت تحصيلها وإن أظهرت فرنسا وكأنّها تعيد الجزائر إلى مجالها الحضاري الطبيعي، عندما سعت لمعرفة رأي الدين في تلك المسائل، إلاّ أنّها كانت تبحث لها عن نصوص توافق مشاريعها، وما يمكّنها من أن تُحكم سيطرتها على الجزائريين وتوفر لها أمنا مستداما.

وأظهر لجوء فرنسا إلى طلب الفتوى من أجل كبح الجزائريين عن مقاومتها، أو الحدّ من هجرتهم، من جهة أخرى، عن المساس مرّة أخرى بالدين الإسلامي وحرماته، الذي لم تسلم مساجده وأوقافه من عبث المحتلين، فأتبعت بمحاولات توظيف نصوصه على غير ما يُقصد منها، بعدما استعمل الإنجيل من طرف قادة الحملة الفرنسية على الجزائر، كما كان إقحام الساسة الفرنسيين أنوفهم في مسائل الحج كالاستطاعة وغيرها مكمّلا لذلك التدخّل السافر في شؤون المسلمين الذين تعهّدت لهم في معاهدة الاحتلال باحترام شعائرهم وممارساتهم الدينية.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

وعكست إجراءات التضييق أمام الجزائريين عند توجّههم إلى مختلف دول العالم الإسلامي عن ذلك التخوّف الكبير من الأفكار القادمة من المشرق، واحتكاك الجزائريين بمختلف الحركات التي قامت هناك، وهو ما جعل الإدارة الاستعمارية تفرض قيودا كبيرة جدّا على فريضة الحج، وتتدخل في مختلف شؤونه، إضافة إلى المتابعة والتحقيقات الدقيقة التي أطلقتها ضدّ كلّ من يتوجّه إلى الزيتونة بتونس أو إلى الأزهر بمصر من أجل التعلّم، وتركيزها عليه النشاط السياسي لهؤلاء، ومراقبة الجهات التي يتصلون بها، والقيام بتوسيع ذلك ليشمل أسرهم وعائلاتهم.

قائمة المصادر والمراجع:

- أحمد الونشريسي. (1996). **أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر، وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر**. (حسين مؤنس، المحرر) القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.
- أغسطس رالي. (2009). **مسيحيون في مكّة** (الإصدار 02). (رمزي بدر، المترجمون) لندن: دار الوراق للنشر المحدودة.
- الأمير عبد القادر. (1903). **تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر**. الإسكندرية: المطبعة التجارية.
- البشير الإبراهيمي. (16 جانفي, 1950). جريدة البصائر(103).
- الفضيل الورتلاني. (2009). **الجزائر الثائرة**. عين مليلة: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع.
- الكلونيل سكوت. (1980). **مذكرات**. (إسماعيل العربي، المترجمون) الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- بسام العسلي. (1986). **المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي** (الإصدار 03). بيروت: دار النفائس.
- جمال قنان. (2007). **نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر1830-1914**. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- خديجة بقطاش. (1992). **الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر (1830-1871)**. الجزائر: مطبعة دحلب.
- سعد الله أبو القاسم. (1992). **الحركة الوطنية الجزائرية(1830-1900)**. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- سعد الله بو القاسم. (2009). **أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر** (المجلد 5). الجزائر: عالم المعرفة للنشر والتوزيع.
- سعيدوني ناصر الدين. (2013). **في الهوية والانتماء الحضاري**. الجزائر: دار البصائر للنشر والتوزيع.
- سعيدوني ناصر الدين. (2013). **في الهوية والانتماء الحضاري**. الجزائر: دار البصائر للنشر والتوزيع.
- شاوش حباسي. (1997). **من مظاهر الروح الصليبية للاستعمار الفرنسي في الجزائر**. مجلة الدراسات التاريخية (10).
- عبد الجليل التميمي. (01 جانفي, 1974). **التفكير الديني والتبشيري**. المجلة التاريخية المغربية.
- عبد الرحمان الجيلالي. (1983). **تاريخ الجزائر العام** (الإصدار 03). بيروت: دار الثقافة.
- عمار هلال. (1995). **أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة**. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- عمّار هلال. (2012). **نشاط الطلبة الجزائريين إبّان حرب التحرير 1954** (الإصدار 05). الجزائر: دار هومة.
- فرحات عبّاس. (2005). **ليل الاستعمار**. (أبو بكر رحال، المترجمون) الجزائر: منشورات الوكالة الوطنية للنشر والإشهار.
- فرحات عبد الحكيم:. (2020). **التبشير المسيحي الجديد: من الوعي إلى الحراك**. الملتقى الوطني الثالث التنصير في الجزائر سياقه التاريخي وأبعاده وأساليب مواجهته الحضارية. الجزائر: مخبر الدراسات التاريخية المعاصرة، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة.
- فيصل عبد الله أبو الحسن. (2021). **ما اللائكية؟ تاريخ الفهم الفرنسي للعلمانية وعلاقتها بقضية المسلمين الفرنسيين**. تأليف مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.
- كمال بوقصة. (2005). **مصادر الوطنية الجزائرية إلى منابع الوطنية الجزائرية "الشعبوية"**. (صادق بخوش، المحرر، و ميشيل سطوف، المترجمون) الجزائر: دار القصبة للنشر.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

- لزهر بديدة، و آخرون. (2016). **السياسة الفرنسية في الجزائر إبان الحرب العالمية الثانية وانعكاساتها على الجزائريين(1939-1945)**. (منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، المحرر) الجزائر: دار الأمال للطباعة والنشر.
- لورا فيشيا فاقليبري. (2013). **أرشيف الفاتيكان السري حول غزو الجزائر من قبل القوات الفرنسية لشارل العاشر أو الحرب الصليبية المجهولة**. (حميد عبد القادر، المترجمون) الجزائر: عالم الأفكار.
- ليون روش. (2011). **اثنتان وثلاثون سنة في رحاب الإسلام (مذكّرات ليون روش في رحلته إلى الحجاز)**. (محمّد خير محمود البقاعي، المترجمون) بيروت: دار جداول للنشر والتوزيع.
- محبّ الدين الخطيب. (1347هـ). **الحديقة**. القاهرة: المطبعة السلفية.
- محمّد البشير الإبراهيمي. (1997). **آثار محمّد البشير الإبراهيمي** (المجلد 03). (أحمد طالب الإبراهيمي، المحرر) بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- محمّد علي دبوز. (2013). **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**. الجزائر: عالم المعرفة للنشر والتوزيع.
- مزيان سعيدي. (2023). **السياسة الاستعمارية الفرنسية في منطقة القبائل ومواقف السكان منها(1871-1914)** (الإصدار 04، المجلد 02). (ناصر الدين سعيدوني، المحرر) الجزائر: شركة الأصالة للنشر.
- مسعود مجاهد. (1982). **كفاح الجزائر البطولي في عهد الأمير و بعد وفاته** (الإصدار 02). الجزائر.
- مصدق خديجة. (2008، 2009). **موقف الأمير عبد القادر من الهجرة من خلال رسالته "حسام الدين لقطع شبه المرتدين"**. مجلة عصور(12، 13/ 14، 15،).
- مصطفى لشرف. (1983). **الجزائر الأمة والمجتمع**. (المؤسّسة الوطنية للكتاب، المحرر، و حنفي بن عيسى، المترجمون) الجزائر.
- ميشال هابار. (2007). **قصة خيانة**. (عبد الرزاق عبيد، المترجمون) الجزائر: منشورات الوكالة الوطنية للنشر والإشهار.
- نبيل شريخي، محمّد عيساوي. (2011). **الجرائم الفرنسية في الجزائر أثناء الحكم العسكري(1830-1871)**. الجزائر: مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع.
- هواري قبايلي. (جانفي, 2015). **سياسة فرنسا الدينية في الجزائر، تأطير فريضة الحج أنموذجا 1894- 1939**. المجلة الجزائرية للمخطوطات(12).
- يوسف مناصرية. (1990). **مهمة ليون روش في الجزائر و المغرب (1832-1847)**. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
- Olivier le cour Grandmaison .(**2011**) .**De l'indigénat- Anatomie d'un monstre juridique le droit colonial en Algérie et dans l'Empire français** .Alger: Saihi édition.
- Paul Azan .(1948) .**Par l'épée et par la charrue : écrits et discours de Bugeaud** . Paris: presses universitaires de France.
- A.N.O .M .GGA , Série H16 H 103, 1908 .(**pèlerinage la Mecque**)
- A.N.O.M .GGA , Boite 10H 68, 22 février 1909 .(**Relation médicale d'un voyage de transport de pèlerins Musulmans au Hedjaz année 1907, 1908, Rapport adressé à monsieur de l'intérieur**).
- A.N.O.M .GGA , Série H , Boite 16H 102, 27 Mars 1909 .(**Algériens signalés**).
- A.N.O.M .GGA , Série H , Boite 16H 102, 30 Mars1906 .(**Passeport sanitaire**).
- A.N.O.M .GGA , ,Boite16 H 102, 18 Mai 1909 .(**Pèlerinage de la Mecque, Départ clandestin**).

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

- A.N.O.M .GGA ,Boite 16H 102 .(**à Monsieur le directeur des affaire indigènes – Etat nominatif des individués détenus par mesure administration et pour lesquels au une décision n'a été prise à la date du 20 février 1909**).
- A.N.O.M .GGA ,Boite 9H 81, 25 Mai 1940 .(**Etudiant Algériens à El Azhar(Caire**).
- A.N.O.M .GGA, Boite16 H 102, 06 Octobre 1909 .(**Pèlerinage clandestins à la Mecque–Tablat**).
- A.N.O.M .GGA, Boite 9H 81 04 ,juin 1940 .(**Etudiant Algériens à El Azhar–Caire**).
- A.N.O.M .GGA, Boite 9H 81 25 ,Mai 1940 .(**Etudiant Algériens à El Azhar–Caire**).
- A.N.O.M. GGA, Boite 9H 81, 04 janvier 1940 .(**Rapport le gouverneur général de l'Algérie à le sous–directeur des territoire du sud**).
- A.N.O.M. GGA, Boite 9H 81, 08 Avril 1940 .(**Etudiant Algériens à El Azhar**).
- A.N.O.M. GGA, Boite 9H 81, 12 Mars 1940 .(**des Etudiants à la Zitouna de Tunis**) .
- A.N.O.M. GGA, Boite 9H 81, 12 Mars 1940 .(**des Etudiants à la Zitouna de Tunis – liste d'étudiants Algériens a la grand mosquée de Tunis et dans ses deux annexes–territoire du sud**).
- A.N.O.M .GGA, Boite 9H 81, 17 Avril 1940 .(**Etudiant Algériens à El Azhar–Caire**).
- Abdelaziz Ferrah .(2004) .**le temps d'une halte, Rencontre avec l'Emir Abdelkader** .Alger: Apic éditions.
- Gervais– Courtellemont .(**1897**) .**Mon voyage a la Mecque**, 04 éme édition, Paris, librairie Hachette.
- GGA, A.N.O.M .Série H , Boite 16H 103, 1907 .(pèlerinage la Meque).
- Isabelle Merbe .(**2004**) .**De la "législation" de la violence en contexte colonial– le régime de l'indigénat en question** .Revue des sciences sociales du politique Numéro thématique, "l'état colonial".
- Nathalie Boulouch .(**1996**) .**les visions d'orient de Jules Gervois– courtellemont** .revue d'histoire du cinéma, Numéro hors–série.
- Paul Azan .(s.d) .**Bugeaud et Algérie** .Paris :édition le petit parisien, imprimerie Hemery.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)